مجلة النهضة العلمية
Al-Nahda Scientific Journal
https://ous.edu.ly/Journal/index.php/OUSJ :Journal homepage

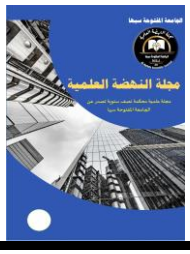

المتون اللغوية العربية بين الأصالة والتقليد

عبد المنعم امحمد عبد القادر علي
الهيئة الليبية للبحث العلمي، طرابلس، ليبيا
للمراسلة: a5o4bid2@gmail.com

الملخص

يتناول البحث قضية المتون اللغوية بين الأصالة والتقليد، في إطار الحديث عن المتون التعليمية عامة، بوصفها لوناً من النظم الشعري الذي يُقصد به تسهيل حفظ العلوم وتداولها، ويُعرّف البحث المتون بأنّها نصوص منظومة تخلو من العاطفة والخيال ، وتركز على عرض علم معين بصورة مكثفة ، لتيسير الحفظ والاستيعاب ، ومن أبرز أمثلتها ألفية ابن مالك في النحو. يعرض البحث آراء العلماء حول نشأة هذا الفن ؛ فذهب فريق إلى أنّه تأثر بالثقافات الهندية أو اليونانية ، مستندين بما عُرف عند هزيود و هوراس من شعر تعليمي ، ورأى آخرون أنّ جذوره تعود إلى العصر الجاهلي ، مستشهدين بأشعار أمية بن أبي الصلت و عدي بن زيد ، ذات الطابع العقدي والتاريخي ، بينما أرجع فريق ثالث بداياته إلى العصر الأموي في أراجيز رؤبة بن العجاج ، في حين عدّه آخرون فنًّا عباسيّ النشأة ، ازدهر مع نضج الحركة العلمية . ويُرجّح البحث أصالة المتون التعليمية في التراث العربي ، مع تطورها التدريجي حتى بلغت أوجها في العصر العباسي ، كما يبرز خصائصها من تكثيف للمعاني ، وجمع لمسائل العلم ، وتنمية لملكة الحفظ ، ويناقش ما وُجه إليها من نقد بدعوى الإغلاق والتعقيد ، ليخلص إلى أنها وسيلة تعليمية فعالة ، تحتاج إلى شرحٍ وتلقٍّ على أيدي العلماء ، وليست غاية في ذاتها ، وقد قسم البحث على أربعة مباحث ، حيث تناول المبحث الأول التعريف بالمتون ، والمبحث الثاني تحدث عن أصالتها ، والمبحث الثالث عن خصائصها الفنية ، بينما المبحث الرابع تحدث عن نقد المتون وذمها .

الكلمات المفتاحية: المتون التعليمية، المتون اللغوية، الشعر التعليمي، أصالة التراث، نشأة النظم.

Linguistic Texts: Between Authenticity and Tradition

Abdul Monem Muhammad Abdul Qadir Ali
Libyan Authority for Scientific Research, Tripoli, Libya
Corresponding Author: a5o4bid2@gmail.com

Abstract

Received 13 February 2026 - Accepted 30 May 2026
DOI: 10.65588/wntdpz85
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0).

This study examines the issue of linguistic didactic poems between originality and imitation within the broader context of educational versification. Such texts represent a form of didactic poetry intended to facilitate the memorization and transmission of knowledge. The study defines these didactic texts as versified compositions devoid of emotion and imagination, focusing instead on the concise presentation of a specific discipline in order to aid memorization and comprehension. One of the most prominent examples is *Alfiyyat Ibn Malik* in Arabic grammar.The research reviews scholarly opinions concerning the origins of this genre. Some scholars argue that it was influenced by Indian or Greek cultures, citing the didactic poetry of Hesiod and Horace. Others trace its roots back to the pre-Islamic era, referring to the works of Umayyah ibn Abi al-Salt and ʻAdi ibn Zayd, which contain doctrinal and historical themes. A third group attributes its beginnings to the Umayyad period, particularly in the rajaz poetry of Ruʼbah ibn al-ʻAjjaj, while others consider it an Abbasid innovation that flourished alongside the maturation of the scientific movement.The study ultimately supports the view that didactic poetic texts are authentically rooted in Arab heritage, having developed gradually until reaching their peak during the Abbasid era. It highlights their key characteristics—semantic conciseness, systematic compilation of scholarly issues, and enhancement of memorization skills—while also addressing criticisms concerning complexity and obscurity. The study concludes that such texts constitute an effective educational tool that requires explanation and guided instruction, rather than being an end in themselves.

Keywords: Didactic texts, linguistic didactic poems, didactic poetry, authenticity of heritage, origins of versification.

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . لقد حظيت العلوم باهتمام كبير من علماء العربية قديما وحديثا ، وكان من نتاج اهتمامهم أنهم توسعوا فيها بالتأليف ، نظما ونثرا في مختلف مجالاتها ، ومن ضمن اهتمامهم أنهم نظموا هذه العلوم في قالب شعري ، وهو ما عُرف بالشعر التعليمي عند بعض العلماء ، وبالنظم أو المتن عند آخرين .

ويتناول هذا البحث المتون اللغوية العربية بين الأصالة والتقليد ، ويتطرق البحث إلى الحديث عن المتون التعليمية بشكل عام ، والمتون اللغوية جزء منها ، وإن كان مدار بحثها محصورا في قضايا اللغة ، ولا يتعداها إلى غيرها ، ولكني آثرت الحديث عن المتون التعليمية عامة ؛ لتكون الصورة واضحة جلية ؛ و لأن البحث يقوم على فكرة إثبات أصالة المتون اللغوية .

وتتجلى أهمية الموضوع بتناوله جانبا مهما من جوانب التراث العلمي العربي، وهو المتون التعليمية التي شكلت وسيلة لحفظ العلوم ونقلها بين الأجيال ، وكذلك إبراز القيمة العلمية والتربوية للمتون اللغوية ، التي كان لها دور بارز في خدمة علوم اللغة العربية، مثل: النحو والصرف والبلاغة ، إذ شكّلت مدخلا مختصرا يعرّف الطالب بأصول العلم وقواعده الأساسية ، ويضاف إلى ذلك أن دراسة المتون تسهم في الكشف عن أصالة هذا الفن في التراث العربي ، وكذلك تساعد الدراسة على إبراز دور العلماء في تطوير أساليب التعليم وإيجاد وسائل تساعد على تيسير حفظ العلوم وتنظيمها في صيغ موجزة يسهل تداولها بين المتعلمين .

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية رئيسة، تتمثل في التساؤل حول أصل المتون التعليمية في التراث العربي وهل تعد المتون اللغوية فنّاً أصيلاً نشأ في البيئة العربية نتيجة تطور الحياة العلمية والتعليمية ، أم أنها ظهرت نتيجة تأثر العرب بآداب الأمم الأخرى؟

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي ، حيث تم وصف ظاهرة المتون التعليمية في التراث العربي ، وبيان نشأتها وتطورها وخصائصها الفنية ، وكذلك المنهج التاريخي قفد تتبع البحث نشأة هذا الفن عبر العصور المختلفة

منذ بداياته الأولى حتى نضج في العصور اللاحقة ، واستفاد البحث من المنهج المقارن ، من خلال عرض الآراء المختلفة للباحثين حول أصل المتون التعليمية ، ومناقشة تلك الآراء وتحليلها .

ولقد تطرقت إلى التعريف بالمتون التعليمية ، والغاية منها ، ومن المعروف أن المتون ، هي نوع من أنواع الشعر إلاّ أنّ بعض العلماء لم يطلق عليها لفظ شعر ، وإنما سماها بالنظم ، أو المتن ، وذلك لأن موضوعها والغرض الذي وضعت له ، غير الغرض الذي وضع له الشعر ، ثم تحدثت عن نشأة هذه المتون ، وعرضت الآراء المختلفة حول نشأتها ، وفي الحديث حول النشأة تتم الإجابة عن بعض التساؤلات . هل المتون التعليمية عربية النشأة ؟ أم هي تقليد للأمم السابقة من اليونان أو الهند ؟

ثم تحدثت عن أهم خصائص هذه المتون، ثم عرجت بالحديث عن بعض من انتقدها؛ لزيادة الوضوح .

ولقد قُسم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول : التعريف بالمتون والغاية منها .

المبحث الثاني : نشأة المتون وأصالتها .

المبحث الثالث : الخصائص الفنية للمتون .

المبحث الرابع : في ذم المتون التعليمية .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

المبحث الأول : التعريف بالمتون ، والغاية منها :

المتون التعليمية لون من ألوان الشعر ، إلاّ أنها تخلو من العاطفة ، وكذلك الصور البيانية والمجاز ، وتقتصر على الفنِّ التي نظمت فيه ؛ أي ليست متعددة الأغراض كالشعر ، فالغرض منها نظم هذا العلم ؛ لكي يسهل على المتعلمين تدارسه ؛ ولأنّ الشعر سهل الحفظ ، عمدوا إلى اتباع سمت الشعر في تصنيف العلوم ، ليسهل حفظها على الصغار ، وقد سمي بالنظم ، أو المتن ، أو الشعر التعليمي .

و يعرف صالح بيلو المتون التعليمية بأنّها : اللون من الشعر الذي يهدف به الشعراء إلى تعليم الناس شؤون دنياهم وأخراهم ، وتزويدهم بالحقائق والمعلومات المتعلقة بحياة الفرد والجماعة ، وأسرار الطبيعة وما وراء الطبيعة [1] .

ويعرفها عبد العزيز عتيق بأنّها : الأراجيز والقصائد التاريخية أو العلمية التي جاءت في حكم الكتب ، وكذلك الكتب التي نظموها فجاءت في حكم الأراجيز والقصائد ، وهو ما يعبر عنه المتأخرون بالمتون المنظومة ، كألفية ابن مالك في النحو العربي ، وغيرها مما يجمع قضايا العلوم والفنون وضوابطها [2].

الغاية منها :

[1] ـ ينظر ، صالح آدم بيلو ، حول الشعر التعليمي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ العدد 52 .

[2] ـ ينظر ، عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة ــ الثانية ، 1976 ، ص 329 .

المتون التعليمية تهدف إلى تعليم الناس شؤون حياتهم المادية والمعنوية ، بطريقة مؤثرة وسهلة ، و المتأمل في هذا النظام من التصنيف ، يجد فيه من الفائدة والقيمة العلمية مما لا يوجد في غيره [1]، نذكر منها :

- يحتاج الدارس في فهم هذه المتون إلى الصبر والجد والاجتهاد ، ويكون هذا الجد والاجتهاد ملكة لا توجد لغير دارس المتون اللغوية .

- تيسير حفظ العلوم وسهولة تمثلها واسترجاعها ؛ يقول الجاحظ : فإنَّ حفظَ الشّعر أهونُ على النَّفس وإذا حُفظ كان أعلَقَ وأثبت وكان شاهداً وإن احتيج إلى ضرْب المثل كان مثلاً [2].
- تكوين صورة مجملة للفن الذي نظمت فيه ، ويستطيع الطالب الإحاطة بهذا الفن في زمن قصير ، وهي كذلك مدخل للعلم .
- تكوين خلفية موسوعية تؤهل القارئ منذ صغره لتلقي مختلف العلوم .

المبحث الثاني : نشأة المتون وأصالتها :

تعد المتون التعليمية قسما من أقسام الشعر العربي ، وهو الشعر الذي من خلاله يتم عرض علم من العلوم ، وهذا الشعر يخلو من عنصري العاطفة والخيال ، ويسمى عند العرب بالنظم ، وقد ازدهر في تراثنا العربي ، فهناك منظومات في النحو والصرف والعقيدة والفقه وأصوله ، وكذلك في جل العلوم التي عرفها علماء العرب ، ولكن الاهتمام بهذا النوع من الشعر لم يزدهر إلا بعد تصنيف الكتب ، والاشتغال بالتعليم والتعلم في الشؤون التي تخص الدين ، من لغة و فقه وحديث ، وكذلك العلوم الأخرى كالطب والفلك وغيرها ، فهذه كلها دعت إلى صوغ هذه العلوم التي تم التأليف فيها في منظومات بقصد تيسير تلك العلوم ، وإن كان بعضها قد خرج عن دائرة التيسير إلى التعسير والتلغيز ، وخرج بها عن الغرض التي وضعت له ، نستعرض الآراء حول نشأة هذا القسم من الشعر :

الرأي الأول : أصحاب هذا الرأي ينحرفون بالقول إلى أن هذا اللون من الشعر في الأدب لم يعرفه العرب إلاّ في وقت متأخر ، نتيجة لاتصالهم بالفكر الوافد ، إمّا من الثقافة الهندية التي اتصل بها العرب في العصر العباسي ، أو الثقافة اليونانية .

يقول الدكتور مصطفي هدارة : فأي الثقافة الهندية أو اليونانية ؟ بل كلتا الثقافتين قد اتصلت بالفكر العربي اتصالا وثيقا ، ولكن اتصال العرب بالأدب الهندي كان أوثق بكثير من اتصالهم بالأدب اليوناني ، لأن أدب الهنود أقرب إلى الطبيعة العربية بما فيه من أساطير وأسمار وحكايات ، ثم إن علوم الهند التي كانت متقدمة فيها أو تنفرد بها ، مثل: الفلك والحساب وغيرهما ، كانت سببا في توثيق العلاقة بين الثقافتين الهندية والعربية ، هذا بالإضافة إلى

[1] - ينظر ، أحمد جواد غلام علي ، الشعر التعليمي خصائصه ونشأته في الأب العربي ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد(14) 2007 م .

[2] - ينظر ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت 255هـ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، للنشر لبنان/ بيروت ، سنة1416هـ – 1996م ، م4 ص540.

تأثير الشعراء المولدين الذين هم من أصل هندي ، نحن نميل إلى إقرار هذا التأثير الهندي في نشأة الفن التعليمي في الشعر العربي ، إذا كان لابدّ من وجود تأثير أجنبي ، وإذا لم يكن الشعر التعليمي قد نشأ نشأة طبيعية بانتشار حركة التعليم وإحساس المعلمين والمتعلمين على السواء بحاجتهم إلى نوع من التأليف ، يسهل نقل المعلومات وحفظها ، فلم يجدو غير الاستعانة بالشعر ليكون وسيلة مشوقة وسهلة في الوقت نفسه ، خاصة بالنسبة للعقلية العربية المشهورة بقدرتها على حفظ الشعر وروايته [1] .

ويقول شوقي ضيف : بأنّ الجاهلية لم تعرف هذا الضرب من الشعر القصصي ، وكذلك لم تعرف الشعر التعليمي ، الذي ينظم فيه الشاعر طائفة من المعارف ، على نحو ما نعرف عند هزيود الشاعر اليوناني وقصيدته "الأعمال والأيام" ، التي يصور فيها فصول السنة والحياة الريفية ، وعند هوراس الشاعر الروماني في قصيدته "فن الشعر" ، التي نظمها في قواعد الشعر ونقده ، وكما هو معروف عن أبان بن عبد الحميد ، شاعر البرامكة في قصيدته التي نظم فيها أحكام الصوم والزكاة [2].

الرأي الثاني : يرجع نشأة الشعر التعليمي في الأدب العربي إلى العصر الجاهلي ، حيث نجد الأقسام المختلفة من الفن التعليمي في هذه الحقبة من الزمن ؛ فبالنسبة للتأريخ وذكر القرون الخالية والأمم البائدة ، قد امتلأ الأدب العربي بشعر الشعراء في ذلك ، وخصوصا أولئك الذين كانوا على شيء من الثقافة الدينية والعلمية ، كأمية بن أبي الصلت ، وعدي بن زيد ، يقول الدكتور صالح بيلو : ومع أن ما في الشعر التعليمي– في عمومه– من مآخذ وعيوب أكثر مما فيه من حسنات وفضائل ، وأن مما فيه من مثالب ونقائص لا يدعو إلى الدفاع عنه ، والتحمس للقول بأن العرب قد عرفوه في أدبهم ، نقرر أن الأدب العربي منذ جاهليته قد شارك في هذا اللون من الفن بكل أقسامه ، ومن ذلك قصيدة عديّ بنِ زيدٍ في مبدأ الخلق وقصة خلق آدم . عليه السلام . وحواء وإسكانهما الجنة ، ونهيهما عن أكل الشجرة وهبوطهما من الجنة [3]، حيث يقول في مطلعها [4]:

اسمع حديثا كما يوما تحدثه عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا

إلى أن قال :

قضى لستة أيام خليقته وكان آخرها أن صور الرجلا

دعاه آدم صوتا فاستجاب له بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا

---

1 ـ ينظر ، محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، دار المعارف . القاهرة ، الطبعة ـ الثانية ، ص 270.

2 . ينظر ، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: 1426هـ)، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، دار المعارف ، ج 1 ص 189.

3 ـ ينظر ، صالح آدم بيلو ، حول الشعر التعليمي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ العدد 52 .

4 ـ ينظر ، عدي بن زيد العباد ، الديوان ، حققه وجمعه : محمد جبّار المعيبد ، شركة دار الجمهوري للنشر والطبع ـ بغداد 1385 هـ ـ 1965 ص 159 .

وبالنسبة للعقائد لدينا قصائد كثيرة ، ومنها قصيدة لأمية بن أبي الصلت ، حيث قال في حادثة الفيل ، أن دين الحنفية هو الدين الحق ، بعد ذكره لآيات الله في الكون[1] ، حيث يقول[2]:

إن آيات ربنا باقيات ما يُماري فيهن إلاّ الكفور

خلق الليل والنهار فكلٌّ مستبينٌ حسابه مقدور

إلى قوله :

كل دين يوم القيامة عند الل له إلاّ دين الحنيفة زور

فهذا اللون من الشعر يدخل في الشعر التعليمي ، وإن كان الغرض منه غير الغرض من الشعر التعليمي في العصور المتأخرة .

وقد رأى شوقي ضيف بأن هذه الظاهرة لها أصولها في الثقافة العربية ، تتمثل في الأراجيز المثقلة بالغريب و الأساليب الشاذة ؛ التي نظمها أصحابها من أجل أهل اللغة [3].

الرأي الثالث : يرجع نشأة هذا اللون من الشعر إلى العصر الأموي ، وذلك بأن أراجيز الرجاز وبخاصة أراجيز (رؤبة بن العجاج) قد كانت متونا لغوية ، وبالتالي فهي النواة والبذرة التي بُني عليها الشعر التعليمي في جانب الكلام المنظوم ، فإن هذه المتون كانت تؤلف من أجل حاجة المدرسة اللغوية وما تريده من الشواهد والأمثال ، فالأرجوزة الأموية تعد أول شعر تعليمي ظهر في اللغة العربية ، ولعل هذا ما يدل على المكان الذي وضعت فيه ، فمكانها صحف العلماء، مثل: يونس ، و أبي عمرو بن العلاء[4] ، يتعلمونها ويعلمونها للناس ، ومن يقرأ أراجيز رؤبة يشعر بأنه اتخذ لنفسه وظيفة وهي صياغة الألفاظ والأساليب والإتيان بكل غريب شاذ فيها ، حتى يرضي ذوق اللغويين وحاجتهم ، وهو كذلك يفتخر بأن النحوي مهما كان عالما باللغة فإنه لا يبلغ مبلغه فيها[5] ، إذ يقول [6]:

لا ينظر النحوي فيها نظري وإن لوى لحييه بالتّحكر

---

1 - ينظر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت 395هـ) ، الأوائل ، دار البشير ، طنطا ، الطبعة ـ الأولى ، 1408 هـ ، ج 1 ص 34.

2 - ينظر ، شرح ديوان أمية بن أبي الصلت ، قدم له وعلق عليه ، سيف الدين الكاتب ، و أحمد عصام الكاتب ، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان . ص 47.

3 - ينظر ، شوقي ضيف ،التطور والتجديد في الشعر الأموي ، دار المعارف . القاهرة ، الطبعة ـ التاسعة ص 345 .

4 - زَبَّان بن عَمَّار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء، من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة (ت 154 هـ). ينظر : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة ـ الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م ج3 ص41 .

5 - ينظر ، ايميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في شواهد العربية ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، 1417هـ – 1996 م ، ج 10 ص 173.

6 - ينظر ، رؤبة بن العجاج ، مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل على ديوان رؤبة ، وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه ، اعتنى بتصحيحه وترتيبه : وليم بن الورد البروسي ، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع . الكويت ، ج3 ص 1903.

وهو دهيٌ العلم والتّعبّر حتى استقامت بي على التّيسُّر

ويقول شوقي ضيف : ونحن نؤمن بأنّ هؤلاء الرجاز وفي مقدمته رؤبة ، هم الذين أعدوا شعراء العصر العباسي لا للشعر التعليمي فحسب ، بل لاقتباسهم للغريب في أشعارهم ، فالغريب أصبح جزء مهما في مادة الشعر عند الشعراء المميزين من أمثال بشار ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، وكذلك يرى أن الشعر التعليمي هو الأسلوب المتطور للأراجيز الأموية فيقول : ومهما يكن فقد ألهمت الأرجوزة الأموية أصحاب الشعر في العصر العباسي أن يقوموا بنظم شعرهم التعليمي كما ألهمت أصحاب النثر أن يقوموا بصنع المقامة [1] .

الرأي الرابع : أصحاب هذا الرأي يذهبون إلى أن هذا اللون من الشعر استحدثه شعراء العصر العباسي ، وعلى رأسهم الشاعر أبان عبد الحميد ، الذي قال عنه طه حسين أنه هو مبتكر هذا اللون من الشعر ، فيقول : يظهر أن أبان هو أول من عني بهذا الفن ، وكذلك الدكتور شوقي ضيف في رأيه الذي يذهب فيه إلى أن هذا الفن مستحدث في العصر العباسي وهو ذو نشأة عربية خالصة ، حيث يقول : هو فن استحدثه الشعراء العباسيون ولم تكن له أصول قديمة ، ونقصد فن الشعر التعليمي ، الذي دفع إليه رقي الحياة العقلية في العصر ، فإذا نفر من الشعراء ينظمون بعض القصص أو بعض المعارف أو بعض السير والأخبار [2].

المتأمل في تلك الآراء ، يلاحظ عدم الجزم بتأثر العرب في نظم العلوم على طريقة الشعر بمن سبقهم إليها من الأمم الأخرى ؛ وذلك عندما يقول هدارة : إذا كان لا بد من وجود تأثير فنحن نقرّ بالتأثير الهندي لأنهم كانوا أكثر اتصالا بالعرب ، على عكس اليونان فهم لم يكونوا على اتصال مباشر بالعرب ، وهو بهذا لا يجزم بالتأثر بل يفترض افتراض من غير أن يسوق الأدلة على ذلك التأثير ، وكذلك شوقي ضيف ينفي وجود الشعر القصصي والتعليمي عند عرب ما قبل الإسلام ، وهذا الرأي لا يبدو سديدا بعد ما قمنا بعرض الآراء التي تورد أمثلة بوجود هذا النوع من الشعر عند عرب ما قبل الإسلام ، و من الواضح من خلال ما قمنا بعرضه من آراء حول نشأة المتون التعليمية ، أنها نشأت نشأة عربية خالصة ، ولم يكن لتأثير الشعر التعليمي لدى الأمم الأخرى سواء الهند أو اليونان أي فضل في نشأة هذه المتون عند العرب ، وذلك أن العرب قد عرفوا هذا اللون من ألوان الشعر منذ عصر ما قبل الإسلام ، وإن لم يكن مكتملا ؛ إلا أنها كانت بوادر هذا الفن واضحة في عصر ما قبل الإسلام ، ثم في عصر بني أمية ، ثم نضج و اكتمل في العصر العباسي ؛ وذلك بسبب رقي الحياة العلمية والثقافية ، التي أدت إلى اكتمال هذا اللون من ألوان الشعر ونضوجه (المتون التعليمية) ، حتى أصبح وسيلة من وسائل حفظ العلوم وتداولها بين المتعلمين .

ومن أشهر المتون اللغوية التي اعتمد عليها طلاب العلمي قديماً ، متن ألفية ابن مالك في النحو ، ولامية الأفعال في الصرف ، والشاطبية في علم القراءات ، وكذلك الدوحة في علم البيان والبلاغة .

[1] - ينظر ، شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، الطبعة ـ السادسة عشرة ، ص 78.

[2] - ينظر ، شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، الطبعة ـ السادسة عشرة ، ص 88.

المبحث الثالث : الخصائص الفنية للمتون :

الناظر في هذا النظام من التصنيف ، يجد فيه من الخصائص التي تميز بها هذا اللون من الفن ما يجعله قادرا على استيعاب العلوم واحتوائها بأيسر الطرق وأكملها ، من ناحية اختصار العبارات ، وتكثيف المعاني ، وتعميق الفهم ، نلخصها فيما يلي :

1. أنها تمثل عمقاً علمياً يتجلى في كثرة المعلومات ، وتنوعها ، وترتيبها ترتيباً محكماً ، إضافة إلى ما فيها من الفوائد ، والإضافات التي لا توجد في المطولات .
2. أنها تكون صورة مجملة للفن الذي ألفت فيه ، يستطيع الطالب الإحاطة بها في زمن قليل ، وماهي إلا مدخل للعلوم ، وليست هي الغاية وإليها النهاية ، بل هي الأساس والبداية .
3. إن العلم الذي فيه المتون ، أكثر منه فيما تلاها من المؤلفات الحديثة وأعظم فائدة.
4. إن الغموض الذي عيبت به المتون ليس مما يعاب ، بل هو في الحقيقة مدح لها لا قدح فيها ، لأنه لا يستوي من يحصل العلم بيسر وسهولة ، ومن يحصله بكد ، ومشقة ، وعناء ؛ وبهذا يشرف قدر العالم وتفضل منزلته ، ولوكان العلم كله بيناً لاستوى في علمه جميع من سمعه ، فيبطل التفاضل ، قال الخليل بن أحمد –رحمه الله تعالى–: " من الأبواب ما لو شئنا أن نشرحه حتى يستوي فيه القوي والضعيف لفعلنا ، ولكن يجب أن يكون للعالم مزية بعدنا " .
5. المتون تجمع حقائق العلم في ورقات يسهل حفظها ، ويسهل استحضارها في الدروس ، والمناسبات .
6. هذا الأسلوب من التصنيف يربي فضيلة البحث ، والتمحيص ، وينمي حلية الصبر والاعتماد على النفس ، ويعوّد على دقة الملاحظة .

المبحث الرابع : في ذمّ المتون التعليمية :

رغم ما قيل في مدح المتون التعليمية ، من ذكر لأهميتها ، والغاية منها ، وخصائصها ، وإبراز الدور الذي قامت به في سبيل حفظ العلوم وانتشارها ، هناك من رأى رأيا مخالفا ، وذهب إلى أن المتون زادت من تعقيد العلوم ، و أغلقت العلوم وفهمها ، حتى أنها قد تحتاج للشرح والتوضيح لما فيها من ألغاز ورموز ، مما خرج بها عن الغاية التي وضعت من أجلها ، وهي تيسير حفظ العلوم والاشتغال بها تعلما وتعليما ، حيث يقول محمد بن الحسن الثعالبي : ثم كَلَّ أهل هذه المئة عن حال من قبلهم من حفظ كبار الأصول ، فاقتصروا على حفظ ماقلّ لفظه ، ونزر خطه ، فأفنوا أعمارهم في حلّ رموزه ، وفهم لغوزه ، إلى أن قال : ومنها أنهم لما أغرقوا في الاختصار ، صار لفظ المتن مغلقاً لا يفهم إلا بواسطة الشراح ، أو الشروح والحواشي ، ففات المقصود الذي لأجله وقع الاختصار ، وهو جمع الأسفار في سفر وتقريب المسافة ، وتخفيف المشاق ، وتكثير العلم ، وتقليل الزمن ، بل انعكس الأمر إذ كثرت المشاق في فتح الإغلاق ، وضاع الزمن من غير ثمن .

و كذلك ابن خلدون إذ يقول : ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والانحاء في العلوم ، يولعون بها ويدونون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها ، باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ، فصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسيراً على الفهم ، وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات

المطولة في الفنون للتفسير والبيان ، فاختصروها تقريباً للحفظ ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه وابن مالك في العربية و الخونجي في المنطق وأمثالهم ، وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل ، وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه ، وهو لم يستعد لقبولها بعد ، وهو من سوء التعليم [1].

والحقيقة التي غابت عن منتقدي هذه المتون أنها لم تصنف من أجل أن تكون سهلة المنال حتى يزهد فيها أهل الهمم العالية ، ويعرض عنها أصحاب الفكر و الريادة ، بل كانت الغاية منها هي حفظ العلوم وترتيبها على طريقة الشعر ، لأنه أسهل في الحفظ من النثر ، ولكنّ حفظها لوحده لا يؤهل حاملها إلى فهمها واستنباط أحكامها وقواعدها ، بل لا بد له من شيخ حاذق يوضّح له ما فيها من درر ، حتى ينتفع بها ، ويصل إلى غايته في فهمها ودرايتها ، فما هي إلاّ وسيلة تعين على التعلم والتعليم ، وليست غاية في ذاتها ، فطريق العلم طويلة يحتاج فيها المرء إلى الجد و الصبر والمثابرة حتى يبلغ مأمولها ومبتغاه ، فما انتقدوها به يعد ميزة وليس انتقاصا في حقها[2] .

الخاتمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، قد توصل البحث إلى جملة من النتائج من أهمها ما يأتي :

1. تعد المتون التعليمية وسيلة علمية أصيلة في التراث العربي ، ابتكرها العلماء لتيسير حفظ العلوم وضبط مسائلها ، مستفيدين من خاصية الإيقاع في الشعر الذي يسهل حفظه واستظهاره .
2. مرت المتون التعليمية بمراحل تطور تاريخية ، إذ ظهرت بوادرها في بعض الأشعار ذات الطابع التعليمي في العصر الجاهلي ، ثم تطورت في العصر الأموي ، حتى بلغت مرحلة النضج والازدهار في العصر العباسي مع اتساع حركة التأليف والتدريس .
3. أسهمت المتون اللغوية إسهاماً كبيراً في خدمة علوم اللغة العربية ، مثل النحو ، والصرف والبلاغة ، إذ شكّلت وسيلة مختصرة لجمع القواعد العلمية ، وترتيبها في صيغة يسهل حفظها واستحضارها .
4. تكمن القيمة الحقيقية للمتون التعليمية في كونها مدخلاً للعلم لا بديلاً عنه ؛ إذ لا يمكن فهم كثير من مسائلها إلا من خلال الشروح والتفاسير التي وضعها العلماء .
5. تعد المتون التعليمية لونا من ألوان الشعر ؛ إلا أنها لم تشتمل على أغراض الشعر وهي الخيال والعاطفة ... إلخ ، ولهذا أطلق عليها كثير من العلماء اسم متن أو نظم ، والنظم أدق عندي ، لأن النظم لا يكون إلاّ شعرا ، بينما المتن قد يكون شعرا وقد يكون نثرا .

---

[1] - ينظر ، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ) ، المقدمة ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م ، ص 532 .

[2] - ينظر ، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م

6. من خلال استعراض نشأة المتون التعليمية يتضح جليا بما لا يدع مجالا للشك بأن نشأتها عربية خالصة، و أن العرب قبل الإسلام قد عرفوا هذا النوع من الشعر، إلاّ أنه لم يكن موضوعا للغرض الذي وضع له مؤخرا .
7. من ينتقد هذه المتون يغيب عليه الهدف السامي الذي أنشأت من أجله ، ولا يستحضر إلا كونها معقدة في بعض الأحيان وقد يضيع كثيرا من الوقت في سبيل التحصيل من خلالها ، و يرى أنها أسهمت في حفظ العلم في فترة من الزمن قصرت فيها الهمم عن بلوغ أقصى الغايات .

مقترحات الدراسة :

1. دراسة أثر المتون التعليمية في مناهج التعليم التقليدية ، من خلال تتبع دورها في حلقات العلم والمدارس القديمة ، وبيان مدى إسهامها في حفظ العلوم ونقلها بين الأجيال .
2. إعداد دراسات مقارنة بين المتون التعليمية العربية وغيرها من الثقافات ، بهدف التحقق من مدى التشابه أو الاختلاف بينها ، وبيان مدى أصالة هذا الفن في التراث العربي .
3. الاهتمام بتحقيق المتون اللغوية المخطوطة ، إذ ما تزال هناك كثير من المتون غير المحققة التي تحتاج إلى دراسة علمية وتحقيق أكاديمي لإخراجها إلى الباحثين والدارسين .
4. دراسة الخصائص البلاغية والأسلوبية في المتون التعليمية ، للكشف عن الأساليب التي اعتمدها العلماء في صياغة العلوم في قالب شعري موجز يسهل حفظه .

قائمة المصادر والمراجع

1. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت 255هـ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، للنشر لبنان/ بيروت ، سنة1416هـ – 1996م .
2. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت 395هـ) ، الأوائل ، دار البشير ، طنطا ، الطبعة ـ الأولى ، 1408 هـ .
3. أحمد جواد غلام علي ، الشعر التعليمي خصائصه ونشأته في الأدب العربي ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد (14) 2007 م.
4. إميل بديع يعقوب ، المعجم المفصل في شواهد العربية ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، 1417هـ – 1996 م .
5. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، المقدمة ، تحقيق الناشر دار القلم ، بيروت سنة النشر 1984 ، ص 532.
6. عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ) ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية، 1408 هـ – 1988 م .
7. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة ـ الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م .

8. رؤبة بن العجاج ، مجموع أشعار العرب ، وهو مشتمل على ديوان رؤبة ، وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه ، اعتنى بتصحيحه وترتيبه : وليم بن الورد البروسي ، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع . الكويت .
9. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، دار المعارف .
10. شوقي ضيف ، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، دار المعارف . القاهرة ، الطبعة ـ التاسعة .
11. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، الطبعة ـ السادسة عشرة .
12. شرح ديوان أمية بن أبي الصلت ، قدم له وعلق عليه ، سيف الدين الكاتب ، و أحمد عصام الكاتب ، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان .
13. صالح آدم بيلو ، حول الشعر التعليمي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد 52 .
14. عدي بن زيد العباد ، الديوان ، حققه وجمعه : محمد جبّار المعيبد ، شركة دار الجمهوري للنشر والطبع ـ بغداد 1385 هـ ـ 1965 .
15. عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة ــ الثانية ، 1976 .
16. محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، دار المعارف . القاهرة ، الطبعة ـ الثانية .